# العفو عن الآخرين

لا تخلو الحياة من عثرات تصيبنا من الناس.

فهذه مزحة ثقيلة. وتلك كلمة نابية. وتعد على حاجة شخصية. خصومة بين اثنين في مجلس. أو اختلاف في وجهات نظر.. أو آراء.

وبعضنا يُكبِّر الموضوع في نفسه.. وليس عنده استعداد للعفو أو النسيان.. أو ربما يتكبر عن قبول أعذار الآخرين والعفو عنهم.

بعض الناس يعذب نفسه بعدم عفوه.. يملأ صدره بأحقاد تشغله وتعذبه. ولله در الحسد ما أعدله.. بدأ بصاحبه فقتله.

فلا تعذِّب نفسك.. هناك أشياء لا يمكن أن تعاقب عليها.. فكن كبيرًا.. انس الماضي.. وعش حياتك.

لما دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحًا.. واطمأن الناس.. خرج حتى جاء الكعبة فطاف بها سبعًا على راحلته.. فلما قضى طوافه.. دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة.. ففتحت له فدخلها.. فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم مما كانت قريش تصوره بجهلها وكفرها.

ورأى إبراهيم عليه السلام مصورًا في يده الأزلام يستقسم بها.. فقال ﷺ: «**قاتلهم الله.. جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام!! ما شأن إبراهيم والأزلام؟!**».

﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [البقرة:٦٧].

ثم أمر ﷺ بتلك الصور كلها فطمست.. ثم وجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده.. ثم طرحها.

ثم وقف على باب الكعبة.. وقد اجتمع له كل الناس في المسجد من المسلمين والكفار ينظرون إليه. ثم صلى ركعتين ثم انصرف إلى زمزم.. فاطلع فيها.. ودعا بماء فشرب منها وتوضأ.. والناس يبتدرون بقايا الماء الذي تبقَّى من أثر وضوئه. والمشركون يتعجبون من ذلك.. ويقولون: ما رأينا ملكًا قط ولا سمعنا به مثل هذا.

ثم أقبل إلى مقام إبراهيم فأخره عن الكعبة.. وكان ملصقًا بها.

ثم قام ﷺ على باب الكعبة، وجعل ينظر إلى الناس -ويا ليتني كنت معهم- ثم خطب فقال: لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له.. صدق وعده.. ونصر عبده.. وهزم الأحزاب وحده.

ألا كل مأثرة أو دم أو مال يُدَّعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين.. إلا سدانة البيت وسقاية الحاج.

ثم جعل يقرر بعض الأحكام الشرعية؛ فقال: ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا.. ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل.. أربعون منها في بطونها أولادها.. ومضى في خطبة مباركة.

ثم نظر -فدته روحي- إلى رءوس قريش وساداتها.. فصاح بهم: «**يا معشر قريش.. إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية.. وتعظمها بالآباء.. الناس من آدم.. وآدم من تراب..** ثم تلا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣]».

ثم جعل يتأمل في وجوه الكفار.. وهو في قمة عزه وملكه عند باب الكعبة.. وهم في غاية ذلهم وضعفهم.. فيم كان طالما كذبوه فيه.. وأهانوه..

وألقوا الأوساخ على رأسه وهو ساجد.. وكفار قريش اليوم بين يديه مهزومين.. أذلاء صاغرين.

**ثم قال:** يا معشر قريش.. ما ترون أني فاعل فيكم؟

فانتفضوا.. وقالوا: تفعل بنا خيرًا.. أنت أخ كريم.. وابن أخ كريم.

عجبًا!! هل نسوا ما كانوا يفعلونه بهذا الأخ الكريم!!

**أين سبكم:** مجنون.. ساحر.. كاهن؟!

ما دام أخًا كريمًا.. وأبوه أخ كريم!! فلما حاربتموه؟!

أين تعذيبكم للمسلمين الضعفاء؟!

هذا بلال واقف.. وآثار التعذيب لا تزال في ظهره.

وتلك نخلة قريبة قتلت عندها سمية.. وزوجها ياسر.

وهذا ابنهما عمار مع المسلمين يشهد.

**اليوم تقولون:** أخ كريم؟!

أين حبسكم لهذا النبي الكريم مع المسلمين الضعفاء ثلاث سنين في شعب بني عامر.. حتى أكلوا ورق الشجر من شدة الجوع..؟!!

ما رحمتم بكاء الصغير.. ولا أنين الشيخ.. ولا حاملًا.. ولا مرضعًا!!

أين حربكم له في بدر.. وأحد.. وتحزبكم عليه في الخندق؟

واليوم.. هو أخ كريم!!

أين منعكم له من دخول مكة معتمرًا.. لما جاءكم قبل سنين.. وتركتموه محبوسًا في الحديبية.. ممنوعًا من دخول مكة؟!

أين صدكم لعمه أبي طالب عن الإسلام، وهو على فراش الموت؟

أين..؟

شريط طويل من الذكريات المؤلمة يمرُّ أمام ناظريه ﷺ.. وهو ينظر إلى وجوه كفار قريش بين يديه.. ويقلب طرفه في فجاج الحرم.. وربما امتد بصره إلى جبال مكة حول الحرم.. أو إلى شوارعها وطرقاتها.. ليس هو فقط.. بل تمرُّ هذه الذكريات أمام ناظري أبي بكر وعمر.. وعثمان وعلي.. وبلال وعمر.

فكلُّ واحد من هؤلاء.. له مع قريش قصة حزينة.. كان ﷺ يستطيع أن ينزل بهم أقسى أنواع العقوبة.. فهم أعداء محاربون.. معتدون.. خونة.

نعم خونة.. خانوا صلح الحديبية.. واعتدوا..

كانوا مجرمين.. متحيرين.. لا يدرون ماذا سيفعل بهم.

فإذا به ﷺ يدوس على الأحقاد.. ويحلق بهمَّته عاليًا.. ويقول كلمة يهتف بها التاريخ: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فينطلقون.. مستبشرين.. تكاد أرجلهم تطير من الفرح.

أحقًّا عفا عنا؟!!

ثم يتلفت ﷺ ينظر حول الكعبة.. فإذا ثلاثمائة وستون صنمًا تُعْبَدُ من دون الله عند بيته المعظم..!! فجعل ﷺ يضربها بيده الكريمة فتهوي.. وهو يقول: «**جاء الحق وزهق الباطل.. جاء الحق.. وما يبدئ الباطل وما يعيد**».

عددٌ من كفار قريش العتاة البغاة.. الذين لهم تاريخ أسود مع المسلمين.. فروا من مكة قبل دخول النبي ﷺ وأصحابه إليها.

**منهم**: صفوان ابن أمية.. فإنه فرَّ منها هاربًا.. وقد تحيَّر أين يذهب؟! فمضى إلى جدة ليركب منها البحر إلى اليمن.

فلما رأى الناس عفو رسول الله ﷺ ونسيانه للماضي الأليم.. جاء عمير بن وهب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، إن صفوان بن أمية سيد قومه.. وقد خرج هاربًا منك.. ليقذف نفسه في البحر.. فأمِّنه صلى الله عليك.

**فقال ﷺ بكل بساطة: «هو آمن».**

**قال عمير:** يا رسول الله.. فأعطني آية يعرف بها أمانك.

فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة.. حتى إذا رآها صفوان عرفها فوثق في صدق عمير.

خرج بها عمير حتى أدركه.. وهو يريد أن يركب في البحر.. فقال: يا صفوان.. فداك أبي وأمي.. الله الله في نفسك أن تهلكها.. فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئتك به..

**فقال صفوان:** ويحك.. اغْرُب عني؛ فلا تكلمني فإنك كذاب.

وكان خائفًا من مغبة ما كان فعله بالمسلمين.

فصاح به عمير قال: أي صفوان.. فداك أبي وأمي.. رسول الله أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس.. وخير الناس.. وهو ابن عمك.. عزُّه عزك.. وشرفه شرفك.. ملكه ملكك.

**قال صفوان:** إني أخافه على نفسي.

**قال عمير:** هو أحلم من ذاك وأكرم.

فرجع صفوان معه.. حتى وصلا إلى مكة.. فمضى به عمير حتى وقف به على رسول الله ﷺ.. فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أمنتني.

**قال ﷺ: «صدق».**

**قال صفوان:** أما دخولي في الإسلام.. فاجعلني بالخيار فيه شهرين.. أي: سأبقى في مكة على ديني عبادة الأصنام شهرين.. أفكر خلالها هل أدخل في الإسلام أم لا.

**فقال** ﷺ: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر. ثم أسلم صفوان بعد ذلك.. ﷺ.

ما أجمل العفو عن الناس.. ونسيان الماضي الأليم.

هذا خلق بلا شكٍّ لا يستطيعه إلا العظماء.. الذين يترفعون بأخلاقهم عن سفالة الانتقام.. والحقد.. وشفاء الغيظ. فالحياة قصيرة على كل حال.. نعم هي أقصر من أن تدنسها بحقد وضغينة.

حتى في الحاجات الخاصة.. كان ﷺ هينًا لينًا.

**قال** المقداد بن الأسود ﷺ: قدمت المدينة أنا وصاحبان لي.. فتعرضنا للناس فلم يُضفْنا أحد.. فأتينا إلى النبي ﷺ.. فذكرنا له.. فأضافنا في منزل له وعنده أربع أعنز.

**فقال** ﷺ: احلبهن يا مقداد.. وجزئهن أربعة أجزاء.. وأعط كلَّ إنسان جزءًا. **قال المقداد:** فكنت أفعل ذلك.

كان المقداد كل مساء.. يحلب فيشرب وصاحباه.. ويبقى جزء النبي عليه الصلاة والسلام.. فإن كان موجودًا شربه.. وإن كان غائبًا حفظوه له حتى يرجع.

وفي ليلة من الليالي.. حلب المقداد الأعنز كما يفعل كلَّ ليلة.. وقسّم الحليب أربعة أجزاء.. فشرب هو وصاحباه ثلاثة أجزاء.. وأبقوا جزءًا للنبي ﷺ ليشربه عند عودته.

تأخر النبي ﷺ في المجيء إليهم.. واضطجع المقداد على فراشه.. فقال في

نفسه: إن النبي ﷺ قد أتى أهل بيت من الأنصار.. فأطعموه.. فلو قمت فشربت هذه الشربة.. فلم تزل به نفسه حتى قام فشربها.. ولم يبق للنبي ﷺ شيئًا. **قال المقداد:** فلما دخل في بطني وتقار.. أخذني ما قدم وما حدث.. وندمتُ..

**فقلت:** يجيء الآن النبي ﷺ جائعًا.. ظمآن.. فلا يرى في القدح شيئًا.. فيدعو عليَّ.. فسجيت ثوبًا على وجهي.. يعني: من الهمِّ.

فلما مضى بعض الليل.. جاء النبي ﷺ.. فسلَّم تسليمة تسمع اليقظان.. ولا توقظ النائم.. والمقداد على فراشه.. ينظر إليه.. فأقبل ﷺ إلى إنائه.. فكشف عنه فلم ير شيئًا.. فرفع بصره إلى السماء.. ففزع المقداد.. وقال: الآن يدعو عليَّ..

فتسمع ماذا يقول؟ فإذا به ﷺ يدعو قائلًا: «**اللهم اسق من سقاني.. وأطعم من أطعمني**».

فلما سمع المقداد ذلك قال في نفسه: أغتنم دعوة النبي -عليه الصلاة والسلام.. قام فأخذ الشفرة السكين.. فدنا إلى الأعنز.. ليذبح إحداها.. ليطعم النبي ﷺ.. فجعل يلمسهن ويجسهن ينظر أيتهن أسمن ليذبحها.

فوقعت يده على ضرع إحداهن فإذا هي حافل.. مليئة باللبن.. ونظر إلى الأخرى فإذا هي حافل.. فنظر فإذا هي كلهن حُفَّل.. فحلب في إناء كبير.. فملأه حتى علت رغوته.. ثم أتى به النبي ﷺ.. فقال: اشرب يا رسول الله.

فلما رأى رسول الله ﷺ كثرة اللبن.. قال: «**أما شربتم شرابكم الليلة يا مقداد؟**»

**فقال:** اشرب يا رسول الله. **فقال:** «**ما الخبر يا مقداد؟**» **قال:** اشرب ثم

الخبر. فشرب النبي ﷺ ثم ناول القدح للمقداد. **فقال المقداد:** اشرب يا رسول الله.. فشرب ثم ناوله القدح. **قال:** اشرب يا رسول الله.. **قال المقداد:** فلما عرفت أن رسول الله ﷺ قد روي.. وأصابتني دعوته لما قال: «**اللهم أطعم من أطعمني واسق من سقاني.. ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض**».

**فقال رسول الله: «إحدى سوآتك يا مقداد!».**

**فقلت:** يا رسول الله.. إنك قد أبطأت علينا الليلة، وكنت جائعًا فقلت في نفسي: لعل رسول الله ﷺ قد تعشى عند بعض الأنصار.

وقصَّ عليه القصة كلها.. وكيف أن الأعنز حلبت في ليلة واحدة مرتين.. على غير العادة!!

فتعجب النبي ﷺ كيف تمتلئ أضرع الأعنز حليبًا بهذه السرعة!! فهي لا يمكن أن تحلب مرتين في ليلة واحدة!!

**فقال: «ما كانت هذه إلا رحمة الله.. ألا كنت آذنتني – أي: أخبرتني قبل أن أشرب – لتوقظ صاحبيك هذين فيصيبان منها».**

**فقال المقداد:** والذي بعثك بالحق ما أُبالي – أي: ما أهتم- إذا أصبت الرحمة أنت.. وأصبتها معك من أصابها بعدنا من الناس.

### وجهة نظر

**الحياة أخذ وعطاء.**

**فاجعل عطاءك أكثر من أخذك.**

**قال لهم:** من سيدكم؟

**قالوا:** سيدنا فلان.. على أننا نبخِّله.

**فقال:** وأي داء أدوأ من البخل؟!! بل سيدكم الأبيض الجعد فلان.

هكذا جرى النقاش بين إحدى القبائل، وبين رسول الله ﷺ لما أسلموا، فسألهم عن سيدهم ليُقرَّه عليهم بعد إسلامهم أو يغيره.

نعم وأي داء أدوأ من البخل.

ما أقبح وما أعرض الناس عنه.. وما أثقله عليهم.

مساكين البخلاء.. تجد أحدهم لا يكاد يقيم في بيته وليمة لأصحابه يتحبب بها إليهم.. ولا يكاد يهدي هدية.. ولا يكاد يعتني بجمال مظهره.. ولا يهتم بذكاء رائحته.. توفيرًا للمال.. ورضًا بالدون.

أما الكريم؛ فهو مفضال على أصحابه.. قريب من أحبابه.. إن اشتاقوا للاجتماع والأنس ففي بيته.. وإن نقص على أحدهم شيء تفضل عليه به.. فيأسر نفوسهم بكرمه.. ويستعبد قلوبهم بإحسانه..

**أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استبعد الإنسان إحسان**

وينبغي عند إكرام غيرك أن تكون نيتك حسنة.. للتآلف مع إخوانك المسلمين.. وكسب مودتهم.. والتقرب إلى الله بالإحسان إليهم.

لا لأجل شهرة أو رئاسة أو كسب مديحهم وثنائهم.

**قال** ﷺ: «**أول من تسعر بهم النار ثلاثة..**»، وذكر منهم رجلًا كان ينفق

ليقال: جواد أي: كريم.. فلم يعمل ابتغاء وجه الخالق، وإنما ابتغى وجه المخلوق.. رياء وسمعة.. وإليك الحديث كاملًا:

**قال سفيان:** دخلت المدينة.. فإذا أنا برجل قد اجتمع الناس عليه.. فقلت: من هذا؟ **قالوا:** أبو هريرة.

فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس.

فلما سكت وخلا.. قلت: أنشدك الله.. بحقِّ وحقِّ.. لما حدثتني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ.. وعلمته.

**فقال أبو هريرة:** أفعلُ.. لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ عقلته وعلمته. ثم نشغ أبو هريرة نشغة (شهق).. فمكث قليلًا.. ثم أفاق.. فقال: لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ وأنا وهو في هذا البيت.. ليس فيه أحد غيري وغيره.

ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى.. فمكث بذلك.. ثم أفاق.. ومسح وجهه.. فقال: أفعل.. لأحدثنك بحديث حدثنيه رسول الله ﷺ وأنا وهو في هذا البيت.. ليس فيه أحد غيري وغيره.

ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى.. ثم مال خارًّا على وجهه.. وأسندته طويلًا.. ثم أفاق.. فقال:

حدثني رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ إذا كان يوم القيامة.. نزل إلى العباد ليقضي بينهم.. وكل أمة جاثية.**

**فأول من يدعو به:**

**رجل جمع القرآن.**

**ورجل يقتل في سبيل الله.**

ورجل كثير المال.

فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟

قال: بلى، يا رب.

قال: فماذا عملت فيما علمت؟

قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار.

فيقول الله له: كذبت.

وتقول الملائكة له: كذبت.

فيقول الله ﷻ: أردت أن يقال: فلان قارئ.

فقد قيل: (أيْ: حصَّلت جزاءك في الدنيا؛ لأنك مراء بأعمالك تريد ثناء الناس وقد أخذته لأن الناس أثنوا عليك وقالوا: فلان قارئ).

ويؤتى بصاحب المال فيقول: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟

قال: بلى.

قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟

قال: كنت أصل الرحم.. وأتصدق.

فيقول الله: كذبت.

وتقول الملائكة: كذبت.

ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جواد.. فقد قيل ذلك.

ويؤتى بالرجل الذي قتل في سبيل الله.

فيقال له: فيم قتلت؟

فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك.. فقاتلتُ حتى قُتِلت.

فيقول الله: كذبت.

وتقول الملائكة له: كذبت.

ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء.. فقد قيل ذلك.

قال أبو هريرة ﷺ: ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي، فقال: «يا أبا هريرة.. أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسعَّر بهم النار يوم القيامة»[1].

فإذا أحسنت النية في كرمك فأبشرْ بالخير.. وأولى من تحسن إليهم ليحبوك ويكرموك.. أهل بيتك.. الأم.. الأب.. الزوجة.. الأولاد.

ثم الأقرب فالأقرب.

ابدأ بنفسك ثم بمن تعول.

وكفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول.

ولا بدَّ من التفريق بين الكرم والإسراف..

مشى رجل في شارع قديم، فمرَّ ببيت متهالك.. فإذا فتاة صغيرة قد جلست على عتبة الباب بثياب رثة.. وهيئة فقيرة.

فسألها: من أنت؟

قالت: أنا ابنة حاتم الطائي.

فقال: عجبًا!! ابنة حاتم الطائي الكريم الجواد.. على هذا الحال؟!!

فقالت: كرم أبي صَّيرنا إلى ما ترى!!

---

(١) رواه الترمذي والحاكم، وهو صحيح.

والله تعالى يقول: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

فالكريم ممدوح.. لكن المسرف مذموم.. لذا نهاك الله عن القبض والبسط.. وأمرك بالاعتدال.. أمسك العصا من النصف..

**ولا تك فيها مُفْرطًا أو مُفرِّطًا  كـلا طـرفي قصْـد الأمـور ذمـيم**

كان رسول الله ﷺ أكرم الناس.. ولم يكن جشعًا ينظر في مصلحة نفسه، ولا يلتفت إلى غيره.. كلا.

**قال أبو هريرة** ﷺ: والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد على الأرض من الجوع.. وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع.

ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه من المسجد.. فمرَّ أبو بكر.. فسألته عن آية من كتاب الله.. ما سألته إلا ليستتبعني – أي: ليقول لي: اتبعني إلى بيتي.. فلم يفعل.

ثم مرَّ عمر.. فسألته عن آية من كتب الله.. ما سألته إلا ليستتبعني.. فمرَّ فلم يفعل.

كان الصحابة في جوع وحاجة شديدة.. فكان إذا جاء لأحدهم ضيف.. ربما لم يجد له ما يطعمه.

ثم مرَّ بي أبو القاسم ﷺ.. فتبسم حين رآني.. وعرف ما في وجهي وما في نفسي.

**ثم قال:** «أبا هر».

**قلت:** لبيك يا رسول الله.

**قال:** «**الحقْ**».

ومضى.. فاتبعته.. فدخل بيته.. فاستأذن.. فأذن لي.. فدخلت.

فوجد لبنًا في قدح.. فقال: «**من أين هذا اللبن؟**»

**قالوا:** أهداه لك فلان.. أو فلانة. **قال:** «**أبا هر..**». **قلت:** لبيك يا رسول الله. **قال:** «**الْحقْ أهل الصفة فادعهم لي**».

وأهل الصفة أضياف الإسلام.. فهم قوم يدخلون في الإسلام.. ويتركون ديارهم ويسكنون المدينة.. في المسجد.. لا يأوون إلى أهل ولا إلى مال.

فكان النبي ﷺ يعطف عليهم.. فإذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا.. وإذا أتته هدية أرسل إليهم.. وأصاب منها وأشركهم فيها.. فساءني ذلك.

**وقلت في نفسي:** وما هذا اللبن في أهل الصفة!!

كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها.. فإذا جاءوا أمرني.. فكنت أنا أعطيهم.. وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن.

ولم يكن من طاعة الله.. وطاعة رسوله بُد.

فأتيتهم.. فدعوتهم.. فأقبلوا.. فأذن لهم.. وأخذوا مجالسهم من البيت..

**فقال** ﷺ: «**يا أبا هر**». **قلت:** لبيك يا رسول الله. **قال:** «**خذ.. فأعطهم**»..

فأخذت القدح.. فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يُروى.. ثم يرد عليَّ القدح.. فأعطيه الآخر.. فيشرب حتى يروى.. ثم يرد عليَّ القدح.. فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروي.. ثم يرد عليَّ القدح.. فأعطيه الآخر

فيشرب حتى يروى.. ثم يرد عليَّ القدح.. حتى انتهيت إلى النبي ﷺ.. وقد روي القوم كلهم.

فأخذ القدح فوضعه على يده.. فنظر إليَّ فتبسم فقال: «**أبا هر**».

**قلت**: لبيك يا رسول الله. **قال**: «**بقيت أنا وأنت؟**» **قلت**: صدقت يا رسول الله. **قال**: «**اقعد فاشرب**». فقعدت فشربت. **فقال**: «**اشرب.. فشربت**».

**فما زال يقول**: «**اشرب..**» حتى قلت: لا.. والذي بعثك بالحق.. ما أجد له مسلكًا.. **قال**: «**فأرني..**» فأعطيته القدح.. فحمد الله وسمَّى.. وشرب الفضلة..[1]

وللكرم أسرار.. أحيانا لا تتكرم على الشخص مباشرة.. وإنما تتكرم على من يحبهم.. فيحبك.

زارني أحد الأصدقاء يومًا.. وكان يحمل كيسًا فيه عدد من الحلويات والألعاب.. أظنها لم تكلفه بضعة ريالات.. ناولني إياها وقال: هذه للأولاد.. فرح بها الصغار.. وفرحت بها أنا لأنه أشعرني أنه يحب إدخال السرور على أولادي.

كان أحد السلف عالمًا.. لكنه كان فقيرًا.. فكان طلابه يهدون إليه بين فترة وأخرى أنواعًا من الهدايا.. تمر.. دقيق.. وكان الطالب إذا أهدى إليه.. لم يزل الشيخ مكرمًا له مقبلًا عليه ما دامت هديته باقية.. فإذا انتهت.. رجع إلى طبعه الأول.

---

(١) رواه البخاري.

فكر أحد طلابه بهدية يحملها إلى الشيخ.. تكون معقولة الثمن.. وتطول مدة بقائها.. فأهدى إليه كيس ملح.

فالملح ثمنه قليل.. ويطول بقاؤه في البيت؛ لأنه لا يستعمل منه إلا الشيء اليسير.. فقد يكفي الكيس الواحد لمدة سنة أو سنتين.

ولو استشرتني في هديتين ستهدي إحداهما إلى صديق.. أولاهما زجاجة عطر رائع.. ثمين.. أو ساعة حائطية تكتب عليها إهداء باسمه.. لاخترت الساعة.. لأنها يطول بقاؤها.. ويراها دائمًا.. وربما يكون ثمنها أقل.

أذكر أن أحد طلابي أهديته ساعة حائطية فيها إهداء باسمه.

تخرج من الكلية.. ومرت السنين.

ثم زرت إحدى المدن لإلقاء محاضرة، فتفاجأت به يحضُر المحاضرة ويدعوني إلى بيته.

فلما دخل مجلس الضيوف فإذا به يشير إلى الساعة المعلقة على الحائط.. ويقول: هذه أغلى هدية عندي.. وقد مرَّ على تخرجه سبع سنين.

بقي أن تعلم أن هذه الساعة لم تكلف إلا شيئًا يسيرًا.. لكن قيمتها المعنوية أعلى وأكبر.

## وجهة نظر

**كسب قلوب الناس فرص قد لا تكرر**

# كـــــف الأذى

كان الناس يبغضونه.. ما يكاد أحد يسلم من أذاه.

إن سَلمْت من يده فلن تسلم من لسانه.. وإن فاته أن يجلدك بسوط لسانه في حضرتك فلن يفوته أن يجلدك في غيبتك.

فعلًا.. كان رجلًا مكروهًا.. أثقل على الناس من صُمّ الجبال الراسيات.

وإذا تأملت أحوال الناس فسوف تصل إلى يقين بأنه لا يؤذي غالبًا إلا من كان عنده نعمة تفوق من يقابله.

فالقوي يتجرأ على إيذاء الضعيف.. يدفعه بيده.. أو يركله برجله.. يضرب ويحقّر.. فيصير أسدًا عليه لكنه في الحروب نعامة!!

والغني يتعدى على الفقير.. فيهينه في المجالس.. يقاطعه في كلامه.

أما صاحب المنصب والجاه.. فله حظ كبير من ذلك.

وقل مثل ذلك فيمن جعل الله نسبه رفيعًا.

وهؤلاء في الحقيقة.. إضافة إلى بغض الناس لهم.. وتمنيهم زوال عزهم.. وفرحهم بمصائبهم.. هم أيضًا مفلسون.

وانظروا إلى رسول الله ﷺ.. وقد جلس مع أصحابه يومًا؛ فقال لهم: أتدرون ما المفلس؟ **قالوا:** المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

**فقال:** إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة.. وصيام.. وزكاة.. ويأتي قد شتم هذا.. وقذف هذا.. وأكل مال هذا.. وسفك دم هذا.. وضرب هذا.

فيعطى هذا من حسناته.. وهذا من حسناته.. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه.. أخذ من خطاياهم فطرحت عليه.. ثم طرح في النار[1].

لذا كان يتجنب ﷺ أذى الناس بشتى أشكاله.

قالت عائشة -رضي الله عنها:

**«ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده.. ولا امرأة.. ولا خادمًا.. إلا أن يجاهد في سبيل الله.**

**وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه.. إلا أن ينتهك شيء من محارم الله.. فينتقم لله ﷻ»**[2].

وعمومًا.. من استعمل هذه النعم لأذى الناس أبغضوه.. وقد يبتليه الله في دنياه قبل أخراه.. فيشفي صدورهم.

أذكر أن أحد الأصدقاء من طلبة العلم وحفظة القرآن.. كان رجلًا صالحًا.. يأتيه بعض الناس أحيانًا يقرأ عليهم شيئًا من القرآن كرقية شرعية.. وقد شفى الله تعالى على يده من شاء.

دخل عليه يومًا من الأيام رجل تبدو عليه علامات الثراء.. جلس بين يدي الشيخ وقال: يا شيخ.. أنا عندي آلام في يدي اليسرى تكاد تقتلني.. لا أنام في ليل.. ولا أرتاح في نهار.

ذهبت إلى عدد كبير من الأطباء.. أجروا لي الفحوصات.. عملوا تمارين.. فما وجدت فائدة أبدًا.. الألم يزيد ويشتد حتى انقلبت حياتي عذابًا.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

يا شيخ.. أنا تاجر وعندي عدد من المؤسسات والشركات.. فأخشى أن أكون أصبت بعين حاسدة.. أو وضع لي أحد الأشرار سحرًا.

**قال الشيخ:** قرأت عليه سورة الفاتحة.. وآية الكرسي.. وسورة الإخلاص والمعوذتين.. لم يظهر عليه تأثر!! خرج من عندي شاكرًا.. رجع إليَّ بعد أيام يشكو الألم نفسه.. قرأت عليه.. ذهب ورجع.. وقرأت عليه.. لم يظهر عليه أي تحسن. قلت له لما اشتد عليه الألم:

قد يكون ما أصابك هو عقوبة على شيء فعلته.. من ظلم أحد الضعفاء.. أو أكل حقوقهم. أو ظلمت أحدًا في ماله فمنعته حقه.. أو غير ذلك.. فإن كان هناك شيء من ذلك.. فسارع إلى التوبة مما جنيت.. وأعد الحقوق إلى أهلها.. واستغفر الله مما مضى.

التاجر لم يرق له كلامي.. وقال – بكبر: أبدًا.. ما ظلمت أحدًا.. ولم أعتد على شيء من حقوق الناس.. وأشكرك على نصيحتك.

وخرج.. مرت أيام وغاب الرجل عني.. خشيت أن يكون وجد عليَّ في نفسه.. ولكن لا عليَّ فهي نصيحة أسديتها إليه.

تفاجأت به يومًا في مكان ما.. لقيني فأقبل إليَّ مسلمًا مسرورًا.

**سألته:** هاه.. ما الأخبار؟ **قال:** الحمد لله.. الآن يدي بخير.. بِغير طب ولا علاج!! **قلت:** كيف؟ **قال:** لما خرجت من عندك.. جعلت أفكر في نصيحتك.. وأستعيد شريط ذكرياتي في ذهني.. وأفكر!!

ترى هل ظلمت أحدًا؟! هل أكلت حق أحد؟!

فتذكرت أني قبل سنوات لما كنت أبني قصري.. كان بجانبه أرض رغبت في ضمها إليه ليكون أجمل.. كانت الأرض ملكًا لامرأة أرملة توفي زوجها

وخلف أيتامًا.

أردتها أن تبيع الأرض فأبت.. وقالت: وماذا أفعل بقيمة الأرض.. بل تبقى لهؤلاء الأيتام حتى يكبروا.. أخشى أن أبيعها، ويتشتت المال.

أرسلت إليها مرارًا لشرائها.. وهي تأبى عليَّ ذلك.

**قلت:** فماذا فعلت؟ **قال:** انتزعت الأرض منها بطرقي الخاصة. **قلت:** طرقك الخاصة!!

**قال:** نعم.. علاقاتي الواسعة.. ومعارفي.. استخرجت ترخيصًا ببناء الأرض وضممتها إلى أرضي. **قلت:** وأم الأيتام؟!!

**قال:** سمعتْ بما حصل لأرضها فكانت تأتي وتصرخ بالعمال الذين يعملون لتمنعهم من البناء.. وهم يضحكون منها يظنونها مجنونة.

وفي الواقع أنني أنا المجنون ليس هي.

كانت تبكي وترفع يديها إلى السماء.. هذا ما رأيته بعيني.. ولعل دعاءها في ظلمة الليل كان أعظم. **قلت:** هاه.. أكمل.

**قال:** رحت أسأل وأبحث عنها.. حتى عثرت عليها.. فبكْيتُ واعتذرتُ.. ولا زالتُ بها حتى قبلت مني تعويضًا عن تلك الأرض.. ودعت لي وسامحتني. فوالله ما إن خفضت يديها.. حتى دبت العافية في بدني.

ثم أطرق التاجر برأسه قليلًا.. ثم رفعه وقال: ونفعني دعاؤها - بإذن الله- نفعًا عجز عنه طب الأطباء.

## قالوا:

**نامت عيونك والمظلوم منتبه  يدعو عليك وعين الله لم تنم**

# لا للعـــداوات

تجد أن الناس عند التعامل معهم لهم طبائع.

منهم الغضوب، ومنهم البارد، ومنهم الذكي، ومنهم الغبي، والمتعلم والجاهل.

ومنهم حسن الظن وسيئ الظن.. و..

**من عامل الناس لاقى منهم نصبًا فإن سوسهم بغيٌ وطغيان**

فالظالم يغفل عن ظلمه، ويرى أنه أعدل الناس.

والغبي يرى أنه أذكى الناس.

والأخرق السفيه.. يرى أنه حكيم زمانه!!

أذكر لما كنت شابًّا - وأظنني لا أزال كذلك- أعني لما كنت في أوائل الدراسة الثانوية.. أقبل علينا ضيف ثقيل.. لا أدري هل أكمل دراسته الابتدائية أم لا؟ لكن الذي أجزم به أنه يقرأ ويكتب.

وكنت مشغولًا وقت دخوله بمسألة شرعية لم أجد لها جوابًا.

وضعت له ما يوضع للضيف من قرى..

ثم تناولت الهاتف وجعلت أكرر الاتصال بالشيخ الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله- لسؤاله عنها..

لم أجد الشيخ.. رآني صاحبي منشغلًا إلى هذا الحد..

فسألني: بمن تتصل.

**قلت:** بالشيخ ابن باز.. عندي استفتاء مهم.

فبادرني قائلًا بكل ثقة: سبحان الله.. ابن باز.. وأنا موجود؟!!

تجد من كثيرين كذلك.. فتحمَّل ثقلهم.. وعاملهم بلطف.. واكسبهم..

حاول بقدر استطاعتك ألا تكسب عداوات.. فلم تبعث عليهم وكيلًا..

أنقذ ما يمكن إنقاذه.. ولا تعذب نفسك.

**خاطرة**

**الحياة أقصر من أن تشغلها باكتساب عداوات**

# اللســـــان.. ملك!!

تأملت فيما يُحدثُ التباغض والشقاق بين الناس.. ويجعل بعضهم أثقل من الجبل على الآخرين.. فلا يحبون رؤيته ولا مجالسته.. ولا السفر معه.. ولا حضور وليمة هو مدعو إليها.. وجدت أن أكثر ما يوصل الشخص إلى هذا المستوى البغيض هو اللسان.

فكم من خصومات وقعت بين إخوان.. وأزواج.. و.. وبسبب مسبة أو غيبة أو شتم..!!

**لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم**

نحن نستطيع أن نوصل أفكارنا للآخرين بأساليب حسنة.. فلماذا نلجأ للأساليب القبيحة؟!

ذُكر أن ملكًا معظمًا رأى في منامه أن أسنانه تساقطت.. فاستدعى أحد المعبرين.. وقصَّ عليه الرؤيا، وسأله عن تعبيرها؟!

فتغيَّر المعبر لما سمعها.. وجعل يردد: أعوذ بالله..أعوذ بالله.

**فزع الملك وقال:** ما تعبير رؤياي؟!

**فقال المعبر:** تمضي عليك السنين.. ويموت أولادك وأهلك جميعًا.. وتبقى في ملكك وحدك.

فصاح الملك.. وغضب.. وسب ولعن.. وأمر بالمعبر أن يسحب ويجلد.

ثم دعا بمعبر آخر.. وقصَّ عليه الرؤيا.. وسأله عن تعبيرها.. فابتهج ذاك المعبر.. وابتسم.. وأظهر البشاشة.. وقال: أبشر.. خير.. خير.. أيها الملك.

**قال الملك:** ما تعبير الرؤيا؟

**قال المعبر:** هذا معناه أنك سيطول عمرك جدًّا.. حتى تكون آخر أهلك موتًا.. وتبقى طول عمرك ملكًا. فاستبشر الملك وأمر له بالأعطيات.. وبقي راضيًا عليه.. ساخطًا على الآخر!!

مع أنك لو تأملت لوجدت أن التعبيرين متماثلان متطابقان.. لكن الأول عبَّر بأسلوب والآخر عبَّر بأسلوب آخر.

نعم.. اللسان سيد من السادات.

وفي الحديث.. قال ﷺ: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان.. فتقول: اتق الله فينا.. فإنما نحن بك.. فإن استقمت استقمنا.. وإن اعوججت اعوججنا**»..[1]

نعم.. والله إنه لسيد. سيد في خطبة الجمعة. وسيد في الإصلاح بين الناس. وسيد في التسويق. وسيد في المحاماة.

ولا يعني هذا أنه إذا فقده الإنسان انتهت حياته.. كلا بل صاحب الهمة يبقى بطلًا مهما فقد من قدرات.

لم يكن أبو عبد الله يختلف كثيرًا عن بقية أصدقائي.. لكنه - والله يشهد- من أحرصهم على الخير.. له عدة نشاطات دعوية من أبرزها ما يقوم به أثناء عمله.. فهو يعمل مُترجمًا في معهد الصم والبكم.

اتصل بي يومًا وقال: ما رأيك أن أحضر إلى مسجدك اثنين من منسوبي معهد الصم لإلقاء كلمة على المصلين.

---

(١) رواه أحمد والترمذي، وهو حسن.

**تعجبت!! وقلت:** صمٌ يلقون كلمة على ناطقين؟

**قال:** نعم.. وليكن مجيئنا يوم الأحد.

انتظرت يوم الأحد بفارغ الصبر.

وجاء الموعد.. وقفت عند باب المسجد انتظر.. فإذا بأبي عبد الله يقبل بسيارته.. وقف قريبًا من الباب.. نزل ومعه رجلان.. أحدهما كان يمشي بجانبه.. والثاني قد أمسكه أبو عبد الله يقوده بيده.

نظرت إلى الأول فإذا هو أصم أبكم.. لا يسمع ولا يتكلم.. لكنه يرى.

والثاني أصم.. أبكم..أعمى.. لا يسمع ولا يتكلم ولا يرى.. مددت يدي وصافحت أبا عبد الله.. كان الذي عن يمينه - وعلمت بعدها أن اسمه أحمد- ينظر إليَّ مبتسمًا.. فمددت يدي إليه مصافحًا.

**فقال** لي أبو عبد الله - وأشار إلى الأعمى: سلِّم أيضًا على فايز.

**قلت:** السلام عليكم.. فايز.

**فقال** أبو عبد الله: أمسك يده.. هو لا يسمعك ولا يراك.

جعلت يدي في يده.. فشدني وهزَّ يدي.

دخل الجميعُ المسجد.. وبعد الصلاة جلس أبو عبد الله على الكرسي وعن يمينه أحمد.. وعن يساره فايز.

كان الناس ينظرون مندهشين.. لم يتعودوا أن يجلس على كرسي المحاضرات أصم.

التفت أبو عبد الله إلى أحمد وأشار إليه.. فبدأ أحمد يشير بيديه.. والناس ينظرون.. لم يفهموا شيئًا.. فأشرت إلى أبي عبد الله.. ليترجم لنا.. فإشارات

أحمد لا يفهمها إلا الصم.. أو من كان متعلمًا للغة الصم، فاقترب إلى مكبر الصوت وقال:

أحمد يحكي لكم قصة هدايته.. ويقول لكم.. ولدت أصم.. ونشأة في جدة.. وكان أهلي يهملونني.. لا يلتفتون إليَّ.. كنت أرى الناس يذهبون إلى المسجد.. ولا أدري لماذا! أرى أبي أحيانًا يفرش سجادته ويركع ويسجد.. ولا أدري ماذا يفعل.. وإذا سألت أهلي عن شيء.. احتقروني ولم يجيبوني.

ثم سكت أبو عبد الله والتفت إلى أحمد وأشار له.. فواصل أحمد حديثه.. وأخذ يشير بيديه.. ثم تغير وجهه.. وكأنه تأثر.

خفض أبو عبد الله رأسه.. ثم بكى أحمد.. وأجهش بالبكاء.. تأثر كثير من الناس.. لا يدرون لماذا يبكي.

واصل حديثه وإشاراته بتأثر.. ثم توقف.

**فقال** أبو عبد الله: أحمد يحكي لكم الآن فترة التحول في حياته.. وكيف أنه عرف الله والصلاة بسبب شخص في الشارع عطف عليه وعلمه.. وكيف أنه لما بدأ يصلي شعر بقدر قربه من الله.. وتخيل الأجر العظيم لبلائه.. وكيف أنه ذاق حلاوة الإيمان.

ومضى أبو عبد الله يحكي لنا بقية قصة أحمد.

كان أكثر الناس مشدودًا متأثرًا..

لكني كنت منشغلًا!! أنظر إلى أحمد تارة.. وإلى فايز تارة أخرى.

وأقول في نفسي.. ها هو أحمد يرى ويعرف لغة الإشارة.. وأبو عبد الله يتفاهم معه بالإشارة.

ترى كيف سيتفاهم مع فايز.. وهو لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم..!!

انتهى أحمد من كلمته.. ومضى يمسح بقايا دموعه.

التفت أبو عبد الله إلى فايز.

**قلت في نفسي:** هه؟؟ ماذا سيفعل؟!!

ضرب أبو عبد الله بأصابعه على ركبة فايز.. فانطلق فايز كالسهم.. وألقى كلمة مؤثرة.. تدري كيف ألقاها؟

بالكلام؟ كلا.. فهو أبكم.. لا يتكلم.

بالإشارة؟ كلا.. فهو أعمى.. لم يتعلم لغة الإشارة.

ألقى الكلمة بـ (اللمس).. نعم باللمس.

يجعل أبو عبد الله (المترجم) يده بين يدي فايز.. فيلمسه فايز لمسات معينة.. يفهم منها المترجم مراده.. ثم يمضي يحكي لنا ما فهمه من فايز.. وقد يستغرق ذلك ربع ساعة.

وفايز ساكن هادئ لا يدري هل انتهى المترجم أم لا.. لأنه لا يسمع ولا يرى.. فإذا انتهى المترجم من كلامه.. ضرب ركبة فايز.. فيمد فايز يديه.. فيضع المترجم يده بين يديه.. ثم يلمسه فايز للمسات أخر.

ظلَّ الناس يتنقلون بأعينهم بين فايز والمترجم.. بين عجب تارة.. وإعجاب أخرى.. وجعل فايز يحثُّ الناس على التوبة.

كان أحيانًا يمسك أذنيه.. وأحيانًا لسانه.. وأحيانًا يضع كفيه على عينيه.. لم نفهم ما يريد حتى ترجم لنا أبو عبد الله.. فإذا هو يأمر الناس بحفظ الأسماع والأبصار عن الحرام.

كنت أنظر إلى الناس.. فأرى بعضهم يتمتم: سبحان الله.

وبعضهم يهمس إلى الذي بجانبه.. وبعضهم يتابع بشغف.. وبعضهم يبكي.

أما أنا فقد ذهبت بعيدًا.. أخذت أقارن بين قدراته وقدراتهم.. ثم أقارن بين خدمته للدين وخدمتهم.

الهمُّ الذي يحمله رجل أعمى أصم أبكم.. لعله يعدل الهم الذي يحمله هؤلاء جميعًا..

**والنـــاس ألـــف مـــنهم كواحـــد  وواحـــد كـــالألف إن أمـــر عنـــا**

رجل محدود القدرات.. لكنه يحترق في سبيل خدمة هذا الدين.

يشعر أنه جندي من جنود الإسلام.. مسئول عن كل عاصٍ ومقصر.

كان يحرك يديه بحرقة.. وكأنه يقول:

يا تارك الصلاة إلى متى..؟

يا مطلق البصر في الحرام إلى متى..؟ يا واقعًا في الفواحش؟ يا أكلا للحرام؟ بل يا واقعًا في الشرك؟ كلكم إلى متى؟!

أما يكفي حرب الأعداء لديننا.. فتحاربونه أنتم أيضًا!!

كان المسكين يتلون وجهه، ويعتصر ليستطيع إخراج ما في صدره.. تأثر الناس كثيرًا.

لم ألتفت إليهم.. لكني سمعت بكاء وتسبيحات..

انتهى فايز من كلمته.. وقام.. يمسك أبو عبد الله بيده.. تزاحم الناس عليه يسلمون.

كنت أراه يسلم على الناس.. وأحس أنه يشعر أن الناس عنده سواسية..

يُسلّم على الجميع.. لا يفرق بين ملك ومملوك.. ورئيس ومرءوس.. وأمير ومأمور.

يسلم عليه الأغنياء والفقراء.. والعامة والوجهاء.. والجميع عنده سواء.. كنت أقول في نفسي ليت بعض النفعيين مثلك يا فايز.

أخذ أبو عبد الله بيد فايز.. ومضى به خارجًا من المسجد.

أخذت أمشي بجانبهما.. وهما متوجهان للسيارة.. والمترجم وفايز يتمازحان في سعادة غامرة.

آآآه ما أحقر الدنيا. كم من أحد لم يُصَبْ بربع مصابك يا فايز، ولم يستطع أن ينتصر على الضيق والحزن.

أين أصحاب الأمراض المزمنة.. فشل كلوي.. شلل.. جلطات.. سكري.. إعاقات.. لماذا لا يستمتعون بحياتهم.. ويتكيفون مع واقعهم.

ما أجمل أن يبتلي الله عبده، ثم ينظر إلى قلبه فيراه شاكرًا راضيًا محتسبًا.

مرت الأيام.. ولا تزال صورة فايز مرسومة أمام ناظري.. فإذا كان فايز نجح في حياته.. وكسب محبة الناس.. وهو أعمى أبكم أصم.. فما بالك بمن أعطاه الله لسانًا ناطقًا.. وبصرًا نافذًا.. وسمعًا واعيًا؟!

فاستعمل لسانك في كسب الناس.. والتحبب إليهم.

**حقيقة**

**الإنسان لا لحمه يؤكل.. ولا جلده يلبس**

**فماذا فيه غير حلاوة اللسان!!**

# اضبـط لســانك

إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه.

هكذا حذَّر النبي ﷺ الناس من إطلاق الكلام على عواهنه.. دون النظر في العواقب.

عدم ضبط اللسان قد يؤدي إلى المهالك..

احفـظ لسـانك أيهـا الإنسـان ... لا يلـــدغنك إنـــه ثعبـــان

كـم في المقابر مـن قتيـل لسـانه ... كانــت تهــاب لقــاءه الشــجعان

كم من امرأة طلَّقها زوجها بسبب اللسان.

يختلف معها.. فتردّد قائلة له:

طلقني.. أتحداك تطلقني.. إن كنت رجلًا طلقني!!

فيأمرها بالسكوت. يصرخ بها. ينهرها.

يشتد الأمر بينهما.. فينهدم البناء.. ويطلقها.

لذا أمر ﷺ الشخص إذا غضب أن يسكت.. نعم يسكت.. لأنه إن لم يضبط لسانه أرداه في المهالك..

يمـوت الفتـى مـن زلـة بلسـانه ... وليس يموت المرء من زلة الرجـل

أذكر أني دخلت قبل فترة في مشكلة بين عائلتين للإصلاح بينهما.

**وقصة الخلاف:** أن رجلًا عاقلًا كبيرًا في السن أظنه قد تجاوز الستين من عمره.. خرج في نزهة صيد مع مجموعة من أصدقائه.. وسنهم جميعًا متقاربة.

دارت بينهم الأحاديث وذكريات الصبا.

ثم تكلموا عن أراض لأجدادهم بالقرية.. فثار خلاف بين اثنين منهم حول أحد الأراضي يملكها أحدهما وادعى الآخر أنها لجده!!

اشتد بينهما النقاش حتى قال مالكُ الأرض لصاحبه: والله لئن رأيتك قريبًا من أرضي لأفرغن هذا في رأسك.

ثم تناول بندقية الصيد التي بجانبه، ووجهها أعلى من رأس صاحبه بمترين أو ثلاثة ثم أطلق منها رصاصة.

ثار الرجلان وكادا أن يقتتلا.. لكن أصحابهما هدؤوهما.. وتفرقوا إلى بيوتهم.

لم يستطع الرجل الذي أُطْلق عليه الرصاص أن ينام من شدة الغيظ.

ما طلع عليه الصبح إلا وقد أجمع أن يشفي غيظه من صاحبه.. فحمل سلاحًا من نوع «كلاشينكوف» ومضى يبحث عن صاحبه.. حتى رآه في سيارته عند مدرسة بنات.

كان صاحبه متقاعدًا من وظيفته، ويعمل سائقًا لسيارة خاصة لنقل المدرسات.. وقد أوقف سيارته عند باب المدرسة، وجلس داخلها ينتظر خروجهن.

وبجانبه مجموعة من السيارات تشبه سيارته كلها مخصصة لنقل المدرسات أو الطالبات.

اختبأ الرجل خلف شجرة بعيدة لئلا يُنتبه إليه.. وكان ضعيف البصر.. ووجه سلاحه إلى السائق الذي بدأ من ملامحه أنه صاحبه.. وحاول جاهدًا أن يسدد الطلقة إلى رأسه.

ثم ضغط على الزناد.. ودوى صوت الرصاص وانطلقت ثلاث رصاصات واستقرت في رأس السائق.

ثار الناس واضطربوا.. وفزعت الطالبات.. وارتفع الصراخ.. واجتمع رجال الشرطة.. وأحاطوا بالمنطقة.. والرجل قد هشمت الطلقات جمجمته.. ومات.

أما القاتل فقد توجه بكل هدوء إلى مخفر الشرطة وأخبرهم بالقصة.

**وقال:** أنا قتلت فلانًا.. والآن قد شفيت صدري فاقتلوني أو أحرقوني أو اسجنوني.. افعلوا ما شئتم. أدخلوه إلى غرفة التوقيف.

وخرج الضابط لمعاينة مكان الحادث.. فلما اطلع على بطاقة المقتول؛ فإذا المفاجأة الكبرى!!

إذا بالقتيل ليس هو صاحبه الذي أراد أن يشفي صدره منه، وإنما هو شخص آخر ليس له دخل بالقضية.

فأقبل الضابط يمشي بسرعة، والرجل المسن المقصود بالقتل يمشي بجانبه.. حتى أدخله مخفر الشرطة، وأوقفه أمام الزنزانة.. وقال:

يا فلان! أتدعي أنك قتلت هذا؟! والرصاص أصاب شخصًا آخر!!

فصرخ المسكين وأصابته حالة هستيرية.. ثم أغمي عليه، ومكث في غيبوبة أيامًا. ثم شفي وأدخل السجن، وحكم عليه القاضي بإقامة حد القتل عليه.

وصدق أبو بكر لما قال: ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

لا أنسى خبر ذلك الخليفة الذي جلس يومًا مع نديمه.. يضاحكه ويمازحه.. فلعب الشيطان برءوسهما فشربا خمرًا.

فلما غابت العقول.. وسيطرت أم الخبائث.. وصار الواحد منهما أضل من الحمار.. التفت الخليفة إلى حاجبه، وأشار له النديم وقال: اقتلوه.

وكان الخليفة إذا أمر أمرًا لم يراجع فيه.

فانطلق الحاجب إلى النديم وتله برجليه.. وهو يصرخ.. ويستغيث بالخليفة.. والخليفة يضحك ويردد: اقتلوه.. اقتلوه. فقتلوه.. وألقوه في بئر مهجورة.

فلما أصبح الخليفة.. اشتاق إلى من يؤانسه.. فقال: ادعوا لي نديمي فلان.

**قالوا:** قتلناه!! **قال:** قتلتموه؟!! من قتله؟! ولماذا؟ ومن أمركم؟! وجعل يدافع عبراته. **فقالوا:** أنت أمرتنا البارحة.. وأخبروه بالقصة.

فسكت.. وخفض رأسه متندمًا ثم قال:

رُبَّ كلمة قالت لصاحبها دعني.

**أعود وأقول:** كم من شخص نفَّر الناس عن شخصه.. وبغضهم في نفسه.. وجرَّ إلى نفسه الويلات بسبب عدم ضبطه للسانه.

**قال ابن الجوزي:** ومن العجب أن من الناس من يقوى على التحرز من أكل الحرام.. ومن الزنا.. والسرقة.. لكنه لا يقوى على أن يتحرز من حركة لسانه.. فيتكلم في أعراض الناس.. ولا يقدر على منع نفسه من ذلك.

## عجيبة

**الحيوان لسانه طويل ولا ينطق**

**والإنسان لسانه قصير ولا يصمت!!**

# المفتـــــاح

المدح.. هو مفتاح القلوب.

نعم.. من أجمل مهارات الكلام أن تكون مبدعًا في تعويد نفسك على اكتشاف صواب الآخرين.. ومدحهم والثناء عليهم به.. قبل الانتباه إلى خطئهم.

ويتأكد ذلك عندما تريد أن تنبه شخصًا إلى خطأ ما.

كثير من الناس يُرد النصيحة لا لأجل تكبره عنها.. أو عدم اقتناعه بخطئه.. وإنما لأن الناصح لم يسلك الطريق الصحيح لتقديم النصيحة.

هب أنك ذهبت إلى مستشفى حكومي لعلاج.

فلما أقبلت إلى موظف الاستقبال فإذا وراء الزجاج شاب مراهق يقلب جريدة بين يديه.. وبيده سيجارة.. غير مبال بما حوله.

وإذا شيخ كبير أعمى يقف متعبًا في يده اليمنى طفل صغير.. وفي الأخرى ورقة مراجعة ينتظر أن يحوّله الموظف إلى الطبيب.

وإذا بجانبه عجوز كبيرة بيدها طفلة تبكي، وقد تمكنت الحمى من جسدها.. وتنتظر أيضًا الموظف أن يفرغ من قراءة أخبار ناديه المفضل ليحولها لطبيب الأطفال.

لما رأيت هذا المنظر ثارت أعصابك - ولا نلومك على ذلك- فصرخت بالموظف: هيه!! أنت جالس في مستشفى أو في.. ما تخاف الله؟!!

المرضى يئنون من الألم، وأنت تقرأ جريدة!! لا.. وتدخن أيضًا!!

والله عجب.. مثلك ما يربيه إلا شكوى لمدير المستشفى.. أو المفروض أن تفصل من عملك.

وبدأت تقذف هذه العبارات كالبرق عليه.

هب أنه.. لم يرد عليك.. ولم يقابل صراخك بصراخ.

هب فعلًا أنه ألقى جريدته.. وأنهى تحويل المرضى إلى الأطباء.

هل تعتبر نفسك نجحت في حلِّ المشكلة؟!

كلا.. أنت هنا عالجت الموقف لكنك لم تعالج المشكلة.. لأنه وإن استجاب لك الآن إلا أنه سيعود إلى تصرفه المشين غدًا وبعد غدٍ.

إذن كيف أتصرف؟!! تعال إليه واكظم غيظك. تعامل مع الموقف بعقل لا بعاطفة.

لا تدع المناظر المؤذية تؤثر في تصرفاتك.

ابتسم، وإن كنت مغضبًا، وإن كانت الابتسامة صفراء لا مشكلة، ابتسم، وقل: السلام عليكم.. سيردُّ وهو ينظر إلى صورة لاعبه المفضل: عليكم السلام.. انتظر لحظة.

قل أي كلمة تجعله يلتفت إليك.. كأن تقول: كيف الحال؟.. مساك الله بالخير.. سيرفع رأسه - حتمًا- إليك ويقول: الحمد لله بخير.. في هذه المرحلة تكون قد قطعت نصف المشوار.

- تلطف إليه بأي عبارة تمدحه بها.

**قل له مثلًا:** تصدق! المفروض أن مثلك ما يعمل في استقبال مستشفى.

**سيتغير ويقول:** لماذا؟

**قل**: لأن هذا الوجه المنير إذا رآه المريض زال مرضه، فلا يحتاج إلى طبيب.

سيبتسم متعجبًا من جرتك - يا بطل-.. وتنبلج أساريره.. وقد صار الآن مهيئًا لقبول النصيحة. **ويقول**: ماذا عندك؟

**عندها قل**: يا أخي الحبيب ترى هذا الشيخ الكبير.. وهذه العجوز المسكينة.. ليتك تنهي لهما إجراءات الدخول على الطبيب.

سيتناول أوراقهما.. ويحولهما للطبيب.. ثم يتناول ورقتك.. فإذا انتهى منك وسلمك الورقة.

**فقل له**: سبحان الله.. هذه أول مرة أراك، ومع ذلك فقد دخلت إلى قلبي.. لا أدري كيف!!

والله إنك أحب إليَّ من آلاف الناس.. (وفعلًا أنت صادق؛ فهو مسلم أحب إليك حتمًا من ملايين الكفار). سيفرح ويشكر لك لطفك.

**فقل**: وعندي كلمات أود أن تسمعها لكني أخاف أن تغضبك.

**سيقول**: لا.. لا.. تفضل. عندها قدِّم له النصيحة.

أنت قد منَّ الله عليك بهذه الوظيفة.. وفي واجهة المستشفى.. وأنت قدوة لغيرك.. فليتك تتلطف قليلًا مع المراجعين.. وتهتم بهم.. لعل دعوة صالحة ترفع لك في ظلمة الليل من فم عجوز عابدة.. أو شيخ زاهد.

أجزم أنه سيخفض رأسه وأنت تتكلم.. ويردد: أشكرك.. جزاك الله خيرًا.

وكذلك استعمل هذه الأساليب مع كل شخص تعالج سلوكه.

مثل شخص يتهاون بالصلاة.

أو أب يهمل بناته فيتكشفن ويتساهلن بالحجاب.

أو شاب عاق لوالديه.

لأجل أن يقبلوا منك لا بدَّ أن تمارس المهارات المناسبة.

نعم.. استخدم العبارات اللطيفة في إصلاح خطأ الآخر.. كن مؤدّبًا.. محترمًا لرأيه.. قل له: أنا ما أنصحك إلا لأني أعلم أنك تقبل النصح. وفي التنزيل العزيز يقول الله: ﴿**إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ [المجادلة: ١٢].

وقد كان المربي الحكيم ﷺ يستعمل طرقًا ومهارات تجعل من يعدل سلوكهم لا يملكون إلا أن يقبلوا منه.

أراد ﷺ يومًا أن يعلّم معاذ بن جبل ذكرًا يقوله بعد الصلاة.. فأقبل إلى معاذ وقال: «**يا معاذ.. والله إني أحبك.. فلا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».. بالله عليك.. ما علاقة المقطع الأول من الكلام «**والله إني أحبك**».

**بالمقطع الثاني: «لا تدعن أن تقول: اللهم أعني على ذكرك»؟!**

قد يكون الأنسب لقوله: إني أحبك أن يقول بعدها وأريد أن أزوجك ابنتي – مثلًا– أو أعطيك مالًا.. أو أدعوك إلى طعام.

ولكن أن يتبع خبر المحبة تعليمه ذكرًا من أذكار الصلاة..!! فهذا يحتاج إلى تأمل.

أتدري ما موقع قوله: «**والله إني أحبك**»؟ إنه التهيئة لقبول النصيحة.. بمشاعر صادقة.. فإذا ارتاحت نفس معاذ واستبشر، أعطاه النصيحة.

وفي موقف آخر.. قبض ﷺ يد عبد الله بن مسعود بيده اليمنى، ثم وضع يده اليسرى فوقها، كنوع من العطف والتهيئة، ثم قال: «**يا عبد الله.. إذا جلست في التشهد فقل: التحيات لله والصلوات الطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**».

حفظها عبد الله ووعاها..

ومضت السنين ومات رسول الله ﷺ.. فكان عبد الله يفخر بذلك ويقول: علمني رسول الله ﷺ التشهد وكفّي بين كفيه.

وفي يوم آخر لاحظ ﷺ أن عمر ﷺ إذا طاف بالكعبة وحاذى الحجر الأسود زاحم الناس وقبّله.. وكان صلبًا قوي البدن.. وربما زاحم الضعفاء.

فأراد ﷺ أن يقدِّم له نصيحة.. فقال -على بسيل التهيئة لقبول النصيحة: يا عمر إنك رجل قوي.. فرح عمر بهذا الثناء. **فقال ﷺ**: «**فلا تزاحمن عند الحجر**».

ومرة أراد أن ينصح ابن عمر بقيام الليل.. فقال: «**نِعْم الرجل عبد الله لو كان يقوم الليل**».

**وفي رواية قال: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان.. كان يقوم الليل.. فترك قيام الليل»**..

نعم.. كان ﷺ يستعمل هذا الأسلوب الرائع مع جميع الناس.. ومع الوجهاء خاصة.

في بداية بعثة النبي ﷺ.. كان الناس ما بين مقبل ومدبر.. وكان رجل في المدينة اسمه سويد بن الصامت، وكان رجلًا شريفًا في قومه.. عاقلًا شاعرًا.. يحفظ كلام الحكماء.. حتى قيل: إنه كان يحفظ كل ما روي عن لقمان الحكيم..

حتى بلغ من إعجاب الناس به أنهم كانوا يسمونه: الكامل.. لجلده وشعره.. وشرفه ونسبه.

**وهو الذي يقول:**

**ألا ربَّ مـن تـدعو صـديقًا ولـو تـرى**
**مقالتـه بالغيـب سـاءك مـا يفـري**
**مقالتـه كالشـهد مـا كـان شـاهدًا**
**وبالغيـب مـأثور عـلى ثغـره النحـر**
**يسرك باديـه وتحـت أديمـه**
**نميمـة غـش تبـتري عقـب الظهـر**
**تبـين لـك العينـان مـا هـو كـاتم**
**مـن الغـل والبغضـاء بـالنظر الشـزر**

قدم سويد بن الصامت يومًا إلى مكة حاجًّا..أو معتمرًا.. فتحدث الناس بدخوله مكة.. وأقبلوا لرؤيته.

فسمع النبي ﷺ به فأقبل عليه.. فدعاه إلى الله.. وإلى الإسلام.. وجعل يحدثه بالتوحيد والرسالة، وأنه نبي يوحى إليه قرآن.. وأن هذا القرآن هو كلام الله تعالى.. فيه عبر وأحكام.

**فقال له سويد:** فلعل الذي معك مثل الذي معي؟!

**فقال** له رسول الله ﷺ: «**ما الذي معك؟!**»

**قال:** معي مجلة لقمان – يعني: حكمة لقمان. فلم يعنفه ﷺ أو يحقره.. مع أنه يضاهي كلام الله بكلام البشر.. وإنما تلطف معه.

**وقال** ﷺ: اعرضها عليَّ.

فشرع سويد يقرأ ما يحفظ من كلام لقمان وحِكَمِه.. ورسول الله ﷺ يستمع إليه بكل هدوء.

فلما انتهى سويد.. قال ﷺ له: «**إن هذا لكلام حسن**».

ثم قال مشوقًا لسويد: «**والذي معي أفضل من هذا.. قرآن أنزله الله تعالى عليَّ.. هو هدى ونور..**» ثم تلا عليه رسول الله ﷺ القرآن.. ودعاه إلى الإسلام. وسويد يستمع منصتًا..

فلما فرغ ﷺ من كلامه.. ظهر على سويد التأثر.. وقال: إن هذا لقول حسن.

ثم انصرف سويد عن النبي ﷺ.. ولا يزال متأثرًا بما سمع.. فقدم المدينة على قومه.. فلم يلبث أن وقع قتال بين قبيلتي الأوس والخزرج.. وكان من قبيلة الأوس فقتلته الخزرج.

وذلك قبل أن يهاجر النبي ﷺ إلى المدينة.

ولا يُدْرَى هل أسلم أم لا؟ وإن كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم.

فتأمل في تعامله ﷺ معه.. وكيف ملكه بأخلاقه، ولم يعنِّف عليه.

## باختصار

**أسرف في المديح.. واقتصد في النقد.**

# الرصيد العاطفي!!

تصورات الناس عنا نحن الذين نصنعها.

فلو لقيك شخص في السوق فعبس في وجهك.

ثم لقيك في بقالة.. فعبس في وجهك أيضًا.

ثم صادفته في عرس.. فلقيك عابسًا!!

لرسمت عنه صورة قاتمة في مخيلتك.. فإذا رأيت صورته أو سمعت اسمه في مكان تبادر إلى ذهنك ذاك الوجه العابس.

أليس كذلك؟

ولو لقيك شخص بابتسامة في موقف.

ثم ابتسم في لقاء آخر.. وثالث.

لانطبع في ذهنك عنه صورة مشرفة.

هذا فيمن لا يكون بينك وبينه علاقة دائمة، وإنما هي لقاءات عابرة.

أما الأشخاص الذي نلقاهم دائمًا كزوجة وأولاد.. وزملاء في مكتب.. وجيران في حارة.. فإن تعاملنا معهم لن يكون بأسلوب واحد دائمًا.

نعم هم سيروننا ضاحكين لطيفين.. لكنهم حتمًا سيروننا تارة غاضبين.. وتارة عابسين.. أو مخاصمين.. أو شاتمين.. لأننا بشر.

وبالتالي؛ فإن محبتهم لنا تتحدد على حسب طغيان حسناتنا عندهم أو سيئاتنا.. أو قل: تتحدد محبتهم لنا بحسب مقدار الرصيد العاطفي الذي في حسابنا عندهم.

عندما يقع لك موقف جميل مع إنسان؛ فإنك تضيف إلى سجل ذكرياته ذكرى جميلة عنك.

أو بعبارة أخرى تفتح لك في قلبه حسابًا تودع فيه محبة لك واحترامًا.. ثم تتولى بعد ذلك زيارة رصيدك العاطفي أو السحب منه.

فكل ابتسامة تقابله بها تزيد من رصيدك العاطفي عنده.. وكل هدية تزيد رصيدك العاطفي.. وكل مجاملة تزيد رصيدك العاطفي.

وكل إهانة تقع منك له.. أو مسبة.. أو شتم.. فإنك تسحب من رصيدك العاطفي.

وبالتالي.. إذا كان رصيدك العاطفي عنده كثيرًا.. ووقعت يومًا في موقف أغاظه فسحبت من رصيد العاطفي مقدارًا معينًا فإن هذا لن يؤثر كثيرًا؛ لأن رصيدك العاطفي عنده كثير..

**وإذا الحبيب أتى بذنب واحد  جاءت محاسنه بألف شفيع**

أما إن لم يكن عنده لك رصيد عاطفي، وجعلت تسحب من الرصيد، وليس فيه شيء أصلًا.. فإن حسابك عنده سيكون بالناقص!!

وبالتالي قد يقع في قلبه لك كره او استثقال؛ لأنك تسحب من رصيدك العاطفي ولا تودع.

ألم تسمع يومًا عن زوجة طلَّقها زوجها.. فإذا سئلت عن سبب الطلاق قالت: السبب تافه.. طلب مني الذهاب معه لزيارة أخته فرفضت.. فغضب وجعل يسبني ويشتمني ثم طلقني!!

ولو تأملت بذكاء في سبب الطلاق.. لما وجدت السبب هو هذا الموقف التافه.. وإنما هذا الموقف هو القشة التي قصمت ظهر البعير!!

فقد ذُكر أن رجلًا كان له جمل جلد قوي.. فأراد سفرًا.. فجعل يحمل متاعه عليه.. ويربطه على ظهره.. والجمل متماسك.. حتى كوَّم على ظهره ما يحمله أربعة جمال.

فبدأ البعير يهتز من ثقل الحمل والناس يصيحون بالرجل: يكفي ما حملت عليه.

فأخذ حزمة من تبن وقال: هذه خفيفة وهي آخر المتاع.. فلما طرحها على ظهره سقط البعير على الأرض.. فصارت قصته مثلًا.

**وقيل**: قشة قصمت ظهر بعير!!

ولو تفكرت لرأيت أن القشة مظلومة، فليست هي التي قصمت ظهر البعير، وإنما انقصم ظهر البعير بسبب تراكمات كبار صبر البعير على أولها.. وصبر.. وصبر.. حتى لم يطق صبرًا.. فانقصم ظهره بشيء صغير.

وهكذا المرأة التي طلقها زوجها.. أجزم أن السبب ليس هو تركها زيارة أخته فحسب.. وإنما تراكمات قبله.. من:

عصيان لطلباته. عدم تحقيق لرغباته. عدم تحببها إليه. تكبرها عليه. عدم احترام رأيه.

فهي تسحب دومًا من رصيدها العاطفي عنده دون أن تودع فيه شيئًا.. وتجرح ولا تداوي.

وهو يحتمل ويحتمل.. حتى جاء هذا الموقف فقصم ظهر البعير.

ولو أنها اعتنت بكثرة الإيداع في رصيدها العاطفي.. من حسن لقاء له.

وتغنج ودلال. وتحبب إليه. وممازحة وخفة ظل. وعناية بطعامه ولباسه. واحترام لرأيه.

لصار رصيدها العاطفي كبيرًا.. وملكت مليارات حبّ في قلبه.

وبالتالي لن يضر لو وقع موقف سحبت به من رصيدها العاطفي؛ لأن سيئتها ستغوص في بحر حسناتها.

وقل مثل ذلك في الطالب المشاكس الذي يقع منه موقف صغير فيغضب المدرس غضبًا شديدًا. وقد يضربه ويطرده من الفصل.. و.

ثم يقول الطالب - مشتكيًا: زميلي فلان يقع في أخطاء أكثر مني.. ولا يعاتبونه.. أما أنا فما فعلت شيئًا هي مجرد نكتة أطلقتها من غير استئذان.

ولا ينتبه إلى أن هذه النكتة هي القشة التي قصمت ظهر البعير.. لأنه يجرح ولا يُداوي.

قل مثله في زملاء تخاصموا.. أو جيران تنازعوا.

إذن.. نحن نحتاج دائمًا إلى نودع في قلب كل واحد نلقاه رصيدًا عاطفيًّا.

الزوج يتحين الفرص ليودع في قلب زوجته.. ويسجل نقاطًا أكثر وأكثر.. والزوجة تحتاج أيضًا.

والولد يحتاج أن يودع في قلب والده.

والمدرس مع طلاب.. والأخ مع أخيه.

بل حتى المدير مع من هم تحت إدارته.. يحتاج إلى ذلك.

## باختصار

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع

# الســـــاحر

الكلام ببلاش.. يا أخي سَمَّعنا كلمة حلوة.

هكذا بدأت المسكينة تعاتب زوجها.

صحيح هو ما قصر معها في طعام ولا لباس.. ولكنه لم يكن يسحرها بمعسول الكلام..!!

ويجمع العقلاء أن أهم صفات البائع الماهر أن يكون ساحرًا في كلامه.. فيردد: من عيوني. تفضل. خل الحساب علينا. تعبك راحة.

وتزيد قيمة البائع كلما زادت عباراته جمالًا.. فإن أضاف إلى حسن العبارة جودة في وصف السلعة.. وقدرة على إقناع الزبون بالشراء.. صار قد اكتسب نورًا على نور.

ويجمع المجربون أن: من أهم صفات السكرتير أن يكون لسانه عذبًا.. وعباراته حلوة.. فيطرب الأسماع بقوله: سَمْ.. أبشر.. نحن (خدّامينك).

وربما شغفت زوجة بزوجها حبًّا.. وهو كثير البخل قليل الجمال.. لكنه يسحرها بعباراته.

أذكر أن شابًّا مراهقًا كان مغرمًا بمغازلة الفتيات.. وكان له قدرة عجيبة على الإيقاع بهن.. وكم من مسكينة صارت متيمة بحبه.. عالقة بشراكه.. ومن العجب أنه لم يكن يملك سيارة فارهة يغريهن بركوبها.. ولم تكن جيبه مليئة بالمال ليغدق عليهن الهدايا.

ولا تظنن أنه أوتي وسامة أو جمالًا.. كلا.. فإني أسأل الله لك ألا تبتلى بالنظر إلى وجهه!! لكن فكيه كان يحتضنان لسانًا.. لو كلم به حجرًا لفلقه.. أو شَعرًا لحلقه.. ولو غمسه في نهر لدفقه.. أو واسى به عاشقًا لصعقه.

فكان يصطاد الفتيات بلسانه اصطيادًا.. بل يسحرهن سحرًا..

**وحديثها السحر الحلال لو أنه ... لم يجن قتل المسلم المتحرز**

**إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ... ودَّ المحدث أنها لم توجز**

ومن نظر في السيرة والتاريخ رأى عجبًا.

أقبل يومًا إلى رسول الله ﷺ ثلاثة رجال سادة في قومهم.

قيس بن عاصم.. الزبرقان بن بدر.. وعمرو بن الأهتم.

وكلهم من قبيلة تميم.. بدءوا يتفاخرون.

**فقال الزبرقان:** يا رسول الله.. أنا سيد تميم.. والمطاع فيهم.. والمجاب فيهم.. أمنعهم من الظلم.. وآخذ لهم بحقوقهم.

ثم أشار إلى السيد الآخر عمرو بن الأهتم.. وقال: وهذا يعلم ذاك.

فأثنى عمرو عليه قائلًا: والله يا رسول الله.. إنه لشديد العارضة.. مانع لجانبه.. مطاع في ناديه.

ثم سكت عمرو.. ولم يبالغ في الثناء.

كان الزبرقان ينتظر ثناء طويلًا.. لكن عمرو اختصر. فغضب الزبرقان.. وودَّ لو أن عمروًا زاد في الثناء. وظنَّ أنه حسده على سيادته.

**فقال الزبرقان:** والله يا رسول الله.. لقد علم ما قال.. وما منعه أن يتكلم به إلا الحسد.

**فغضب عمرو.. وقال:** أنا أحسدك؟!! فوالله إنك لئيم الخال.. حديث المال.. أحمق الموالد.. مضيع في العشيرة.

والله يا رسول الله.. لقد صدقت فيما قلت أولًا.. وما كذبت فيما قلت آخرًا.. لكني رجل رضيت فقلت أحسن ما علمتُ.. وغضبتُ فقلتُ أقبح ما وجدت.. والله لقد صدقت في الأمرين جميعًا.

فعجب ﷺ من سرعة حجته.. وقوة بيانه.. ومهارات لسانه.

**فقال: إنَّ من البيان لسحرًا.. إنَّ من البيان لسحرًا..**[1]

فكن مبدعًا في مهارات لسانك..

**فلو قال لك:** ناولني القلم.. قل: من عيوني.. تفضل.

ولو قال.. لكن يا فلان عندي طلب.. فقل: أطلب عيوني.. سَمْ.

**أريد منك خدمة:** تفضل.. خدمنا أناسًا ما يساوون أثر رجليك.

مارس هذا الأسلوب الذي يدغدغ المشاعر.. مع أمك. نعم أسمعها كلمات رقيقة لينة. مع أبيك.. زوجتك.. أولادك.. زملائك.. فهذا الأسلوب لا يخسرك شيئًا.. وتسحر به الآخرين.. وتزيل ما في نفوسهم.

وانظر إلى حال الأنصار رضي الله عنهم بعد معركة حنين.. الأنصار

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، وفيه مقال وأصله في الصحيحين.

الذين قاتلوا مع النبيِّ ﷺ في بدر ثم قتلوا في أحد.. وحوصروا في الخندق.

ولازالوا معه يقاتلون ويُقتَلون.. حتى فتحوا معه مكة.. ثم مضوا إلى معركة حنين.

**ففي الصحيحين:** أن القتال اشتد أول معركة حنين.. وانكشف الناس وتفرَّق الجيش عن رسول الله! وكان جيش الطائف قويًّا.. فإذا الهزيمة تلوح أمام المسلمين.

فالتفت ﷺ إلى أصحابه.. فإذا هم يفرون من بين يديه!!

فصاح بالأنصار.. يا معشر الأنصار..

**فقالوا:** لبيك يا رسول الله.. وعادوا إليه.. وصفوا بين يديه.. ولا زالوا يدفعون العدو بسيوفهم.. ويفدون رسول الله ﷺ بنحورهم.. حتى فرَّ الكفار، وانتصر المسلمون. وبعدما انتهت المعركة.. وجمعت الغنائم بين يدي النبي ﷺ.. أخذوا ينظرون إليها.

وكل واحد منهم يتذكر أولاده الجوعى.. وأهله الفقراء.. ويرجو أن يناله من هذه الغنائم شيء يوسع به عليهم.

فبينما هم على ذلك.. فإذا برسول الله ﷺ يدعو الأقرع بن حابس، وكان حديث عهد بإسلام، فهو ما أسلم إلا قبل أيام في فتح مكة.. فيعطيه مائة من الإبل.. ثم يدعو أبا سفيان ويعطيه مائة من الإبل. ولا يزال يقسم النعم بين أقوام من أهل مكة.

ما بذلوا بذل الأنصار. ولا جاهدوا جهادهم. ولا ضحوا تضحيتهم.

فلما رأى الأنصار ذلك.. قال بعضهم لبعض: يغفر الله لرسول الله.. يعطي قريشًا ويتركنا.. وسيوفنا تقطر من دمائهم!!

فلما رأى سيدهم سعد بن عبادة ﷺ ذلك.. دخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله.. إن أصحابك من الأنصار وجدوا عليك في أنفسهم.

**فعجب ﷺ وقال: «وما ذاك؟!»**

**قال:** لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت.. قسمت في قومك (يعني أهل مكة).. وأعطيت عطايا عظامًا.. في قبائل العرب.. ولم يكن في الأنصار منه شيء..

**فقال ﷺ: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟»**

**قال:** يا رسول الله.. ما أنا إلا امرؤ من قومي.

شعر النبي ﷺ أن الأمر يحتاج إلى علاج يدخل القلوب لا الجيوب.

**فقال: «فأجمع لي قومك».**

فلما اجتمعوا.. أتاهم رسول الله.. فحمد الله وأثنى عليه.

**ثم قال: «يا معشر الأنصار.. ما قالة بلغتني عنكم؟»**

**قالوا:** أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئًا، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله، يعطي قريش ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم!!

**فقال ﷺ: «يا معشر الأنصار.. ألم تكونوا ضلالًا فهداكم الله بي».**

**قالوا:** بلى، ولله ورسوله المنة والفضل.

**قال: «ألم تكونوا عالة فأغناكم الله.. وأعداء فألف بين قلوبكم».**

**قالوا:** بلى، ولله ورسوله المنة والفضل.

ثم سكت رسول الله ﷺ.. وسكتوا.. وانتظر.. وانتظروا.

**فقال: «ألا تجيبوني يا معشر الأنصار».**

**قالوا:** وبماذا نجيبك يا رسول الله.. ولله ولرسوله المنة والفضل.

**قال: «أما والله لو شئتم لقلتم.. فلصَدَقتم ولصُدِّقتم.. لو شئتم لقلتم: أتيتنا مكذبًا فصدقناك.. ومخذولًا فنصرناك.. وطريدًا فآويناك.. وعائلًا فواسيناك».**

ثم بدأ ﷺ يهزُّ المشاعر.. ويحرِّك القلوب.. فقال: **«يا معشر الأنصار.. أوجدتم على رسول الله في أنفسكم.. في لعاعة من الدنيا.. تألفت بها قومًا ليسلموا.. ووكلتم إلى إسلامكم.. إن قريشًا حديثوا عهد بجاهلية ومصيبة** (يعني: ما أصاب قريشًا من قتل وحرب في فتح مكة).. **وإني أردت أن أجبرهم.. وأتألفهم. ألا ترضون يا معشر الأنصار.. أن يذهب الناس بالشاة والبعير.. وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم؟!**

**لو سلك الناس واديًا أو شعبًا.. وسلكت الأنصار واديًا أو شعبًا.. لسلكت وادي الأنصار.. أو شعب الأنصار. فوالذي نفس محمد بيده.. إنه لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار.. اللهم ارحم الأنصار.. وأبناء الأنصار.. وأبناء أبناء الأنصار».**

فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم.. وقالوا: رضينا برسول الله قسمًا وحظًّا.. ثم انصرف رسول الله وتفرَّقوا. فيا لله العجب.. ما أروع نبينا ﷺ.. بل إنك بالعبارات الجميلة تستطيع أن تخدر الناس أحيانًا.

ذكر أنه كان في صعيد مصر رجل غني متسلط اشتهر باسم: «الباشا» كان يملك فدادين من المزارع.. كان متغطرسًا يمارس أصناف الإذلال على المزارعين الصغار.. دار الزمان دورته فأصاب أرضه ما أتلفها.

فأصبح فقيرًا بعد غنى.. كسيرًا.. جاع أولاده وهو ليس عنده مصدر يتكسب منه.. ولا يعرف صنعة غير الزراعة.. لكن أرضه تالفة.

فخرج يبحث عن عمل.. أي عمل.

أقبل على مزرعة لأحد الفلاحين الضعفاء الذين ذاقوا من إذلاله قديمًا.. دخل عليه.. وقال بكل مذلة: هل أجد عندك عملًا.. أقطف الثمر.. أو أنقي الحبوب.. أو أقلم الأشجار.. أو.

فثار المزارع في وجهه وقال: أنت تعمل عندي!! أنت المتكبر المتغطرس.. الحمد لله أن استجاب دعاءنا عليك وأذلك.. ثم طرده من بستانه.

مضى يجر قَدَمْي خيبته.. حتى دخل بستانًا آخر.. فإذا بفلاح له معه ذكريات أليمة.. فطرده كما طرده الأول. مضى الباشا (!!) المسكين لا يلوي على شيء.. ولا يريد أن يرجع إلى أولاده خاليًا.. مرَّ على مزرعة لفلاح ثالث.. فدخل ليجرب حظه معه..

رآه الفلاح فانبهر.. وقد ذاق أيضًا من إذلاله من قبل.

**قال الباشا:** أنا أبحث عن عمل.. أولادي جوعى.

فأراد الفلاح أن يذله: وأن ينتقم منه بأسلوب ذكي.

**فقال له:** أهلًا أيها الباشا!! نوَّرت بستاني!! من مثلي اليوم! الباشا الكبير يدخل أرضي!! أنت الباشا الكبير.. أنت الباشا الوجيه!! أنت.. وجعل يخدِّره بهذه العبارات.. حتى صار الباشا منومًا مغناطيسيًّا!!

**ثم قال الفلاح:** مرحبًا وأهلًا.. عندي عمل.. لكني لا أدري هل يناسبك أم لا؟ **قال الباشا:** وما هو؟

**قال:** اليوم سوف أحرث الأرض.. وعندي محراث يجره ثوران.. ثور أبيض وثور أسود.. والثور الأسود اليوم مريض، ولا يستطيع أن يعمل.. والثور الأبيض لا يطيق جر الحراثة وحده.. فأريدك أن تقوم اليوم بوظيفة الثور الأسود.. فأنت قوي أيها الباشا.. أنت قائد.. أنت رئيس.. تسير في الأمام دائمًا..

توجه الباشا بكل كبرياء إلى الحراثة.. ووقف بجانب الثور الأبيض.. أقبل المزارع إليه، وبدأ بالثور الأبيض وربطه بالحبال ليجر المحراث.

ثم توجه إلى الباشا وهو يردد قائلًا: يا أحسن باشا في العالم.. يا قوي.. يا بطل.. والباشا يتلفت في زهو. ثم ربط الحبال في كتفي الباشا.. وركب هو على الحراثة معه السوط!!

**وصاح:** امش.. وضرب ظهر الثور فتحرك.. وتحرك الباشا يجر المحراث.

**والفلاح يردد:** جميل يا باشا.. ممتاز يا ملك.

ويضرب ظهر الثور.. ويصيح: أقوى يا باشا..أحسن يا باشا!!

والباشا المسكين لم يتعود على ذلك.. لكنه كان يجر بكل قوته.. من الصباح حتى غابت الشمس.. وكأنه غائب العقل.

فلما انتهى.. فكَّ الفلاح عنه الحبال.. وهو يقول: والله شغلك جميل يا باشا.. هذا أحسن يوم مرَّ عليَّ يا باشا.

ثم ناوله بضعة جنيهات.. ومضى الباشا إلى بيته.

دخل على أولاده.. وقد تقرحت كتفاه.. وسالت الدماء من أسفل قدميه.. والعرق يغرق ثيابه.. و.. لكنه لا يزال منتشيًا مخدرًا.

**سأله أولاده:** هاه.. هل وجدت عملًا؟!

**فقال - بكلِّ فخر:** نعم.. أنا الباشا.. كيف لا أجد عملًا! **فقالوا:** فماذا اشتغلت؟! **فقال:** اشتغلت.. هاه!! ا شتغلت!! وبدأ يصحو من تخديره.

ويدرك ما أصابه. سكت قليلًا ثم قال: اشتغلت ثورًا!!!

## قرار

**اختر أطيب الكلام كما تختار أطيب الثمر.**